العهد الإسماعيلي
قَسَم المستجيبين للدعوة الإسماعيلية

عـــادل ســـالـم الـعـــبـــدالجـــادر

محاضـر في التـاريـخ الفـاطمـي ورئيـس تحريـر مجلـة الـتـــــــــــــــقـــــــدم الـعـــلـــمـــي

الملخص

كان أول كشف للعهد الإسماعيلي على يد ابن رزام ، الذي أتى بنص هذا العهد في كتاب كتبه في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي . وعلى الرغم من ضياع هذا الكتاب فإنه كان المصدر الرئيس لكتاب آخر كتبه معاصره الشريف العلوي أخو محسن . وقد أصبح كتاب هذا الأخير مصدراً رئيساً للمؤرخين وعلماء الدين . وحفظ النويري في كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب» جزءاً كبيراً من هذا الكتاب ، الذي لم يعثر عليه حتى الآن ، حين أفرد له أكثر من مئة صفحة تقريباً .

تقدم هذه المقالة الروايات المختلفة والمذكورة في كتب التاريخ الإسلامي للعهد الإسماعيلي الذي يُقْسم به المستجيب للدعوة الإسماعيلية ليرتقي إلى مرتبة «مؤمن» . وتقارن المقالة الروايات التي ذكرها المؤرخون وعلماء الكلام المسلمون ، كالبغدادي في «الفرق بين الفرق» ، والغزالي في «فضائح الباطنية» ، وأبي محمد اليمني في «مختصر في عقائد الثلاث والسبعين فرقة» ، بما أورده الإسماعيلية في كتبهم ، ككتاب «الكشف» لجعفر بن منصور اليمن ، و«الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» لشمس الدين الطيّبي ، وكتاب «هاري إسماعيلي مذهب كي حقيقة أور أوسكا نظام» لزاهد علي .

مقدمة

كان أول ذكر للعهد الإسماعيلي ، بوصفه قَسَماً يُقْسم به المستجيب للالتحاق بالدعوة ، في كتاب ابن رزام[1] . ذلك الكتاب الذي كُتب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي قد جاء بالعهد الإسماعيلي كاملاً . وعلى الرغم من ضياع ذلك الكتاب ، فإن أحد معاصري ابن رزام ، وهو الشريف أخو محسن[2] ، قد نقل جميع المعلومات التي ذكرها ابن رزام عن الإسماعيلية[3] . ويذكر الداوداري في «كنز الدرر» أن أخا محسن قد نقل مباشرة عن لسان ابن رزام نصّ العهد الإسماعيلي . وقد ورد في هذا النص أن أبا سعيد الجنّابي قد نقله عن حمدان قرمط نفسه[4] . وكان غرض أخي محسن – بوصفه واحداً من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم – من تأليف كتابه هذا هو نقض شرعية انتماء الفاطميين لآل البيت ، ومن ثم تكذيبهم في ادعاءاتهم والطعن في أصولهم[5] . وقد أصبح كتاب أخي محسن مصدراً رئيساً لبعض المؤلفين الذين صنفوا كتباً في الرد على الإسماعيلية ، أو ذكر نبذ من تاريخهم ، كالباقلاني والغزالي وأبي محمد اليمني وغيرهم من علماء الكلام . أما في نسب الفاطميين ، فقد انقسم العلماء فريقين : منهم من شكك في نسبتهم لآل البيت ، كابن حزم الأندلسي والنويري والداوداري ، ومنهم من أكد نسبتهم إلى آل البيت ، كابن الأثير وابن خلدون والمقريزي .

وعلى ما يبدو فإنّ معظم محتوى كتاب أخي محسن قد نقله النويري في كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب» ، حين أفرد النويري لكتاب أخي محسن ما يزيد على مئة صفحة من كتابه[6] . وقد يتجرأ المرء في الافتراض بأن الباقلاني في كتابه المفقود «كشف أسرار الباطنية» ، الذي كان مصدراً من مصادر الغزالي في «فضائح الباطنية»[7] ، قد نقل من كتابي ابن رزام وأخي محسن . وأول الكتب التي وصلت إلينا ، من تلك التي تشير إلى العهد الإسماعيلي ، كان كتاب «الفرق بين الفرق» للبغدادي ، الذي يصرّح فيه بأن معلوماته عن العهد قد جمعها من الذين قابلهم من أولئك الذين أغواهم دعاة الإسماعيلية للانخراط

بالدعوة بعد أخذ العهود عليهم[8] . والجدير بالذكر أن العهد الإسماعيلي قد ذُكر من بعض المؤرخين والمتكلمين ، ممن ألّف كتباً في الفرق ، كالغزالي في «فضائح الباطنية»[9] ، والديلمي[10] في «قواعد عقائد آل محمد»[11] ، والنويري في «نهاية الأرب» ، والمقريزي في «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»[12] . وبالمقابل هناك آخرون قد ذكروا الإسماعيلية ، ولكنهم لم يعيروا العهد اهتماماً ، ومن هؤلاء الإسفراييني وابن حزم والشهرستاني . وحتى الحمادي الذي عاصر الدعوة الإسماعيلية في اليمن وانخرط فيها ، ثم عافها وتنكّر لها ، لم يأت بنصّ للعهد الذي كان الدعاة عادة يأخذونه على المستجيبين للدعوة . أما الداودَاري ، فيؤكد أنه قرأ العهد الإسماعيلي ولكنه لم يكتبه ؛ وذلك تعففاً عن ذكر الأكاذيب على الله ورسوله من أن تُسطر في كتابه[13] .

ولا يختلف نصّ العهد في مختصر «عقائد الثلاث والسبعين فرقة» لأبي محمد اليمني[14] ، عنه عند البغدادي في «الفرق بين الفرق» من ناحية المضمون العام ، على الرغم من أن هذا الأخير أطول قليلاً ويحتوي تفاصيل أكثر[15] . إلا أن النص الذي أورده أبو محمد للعهد الإسماعيلي في مختصره قد بين بعض التفاصيل التي لم ترد عند البغدادي ، خاصة تلك التي تُكَفِّر بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأبي بكر وعثمان وعمر رضي الله عنهم . أما قِصَر النّصّ الذي أورده أبو محمد ، فيستطيع المرء أن يعزو ذلك إلى منهجية أبي مَحمد في كتابه ، فقد وصف بنفسه في مقدمته كتابه بأنه مختصر لتواريخ الفرق الإسلامية وعقائدها .

ونستعرض بعض الفقرات المختارة من مختصر أبي محمد ، تلك التي يتكلم فيها عن العهد الإسماعيلي ، ونقارن مقالته بمقالة البغدادي والغزالي وغيرهم من المتقدمين ، ثم نقابل ذلك مع ما ورد في كتب الإسماعيلي ، المتقدمة منها والمتأخرة ، ككتاب «الكشف» لجعفر بن منصور اليمن (ت 380هـ/ 990م) ، وكتاب «دامغ الباطل وحتف المناضل» للداعي اليمني علي بن الوليد (ت 612هـ/ 1218م)[16] ، و«الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» لشمس الدين الطيّبي (ت . 652هـ/ 1254م)[17] ، وأخيراً «هاري اسماعيلي مذهب كي حقيقة

أور أوسكا نظام» لزاهد علي (كاتب معاصر ت . 1958م) . ثم بعد ذلك نناقش ما أورده أبو محمد في مراتب الدعوة الإسماعيلية ، ونقارن ذلك مع ما ورد في كتب الإسماعيلية في الموضوع نفسه . والجدير بالذكر أن انتقاءنا للفقرات المختارة من مختصر أبي محمد قد قام على عدة أسس : **أولها** هو أن أبا محمد قد قام بتحديد بعض الأسماء لمؤلفين إسماعيليين وبعض من عناوين كتبهم . **وثانيها** هو تلك الفقرات التي نقلها أبو محمد في مختصره عن «الافتخار» و«شجرة اليقين» . ومن خلال ذلك يمكننا مقارنة تلك الفقرات المنقولة مع الأصول ، ولعلّ ذلك يبين لنا دقة أبي محمد في النقل ، أو على الأقل تصرفه في ذلك النقل **وثالثها** ، وهو من الأهمية بمكان ، ما نقله أبو محمد من فصول بعض الكتب الإسماعيلية ، التي لم يعثر عليها حتى الآن ، ككتاب «المحصول» للنسفي ، و«الإصلاح» لأبي حاتم الرازي ، و«المسألة والجواب» للصليحي . وبهذا أضاف أبو محمد معلومات مهمة للباحثين في مجال الدراسات الإسماعيلية .

العهد الإسماعيلي

في حقيقة الأمر أن العهد الإسماعيلي عبارة عن قَسَم إلزامي يقْسم به المستجيب أمام الداعي المفوّض له بذلك . فحين يُقَسِّم فلاسفة الإسماعيلية مراتب الدعوة ، نرى أن رتبة المستجيب في أول درجة من أسفل الهرم الدعوي الإسماعيلي .

المراتب الدينية للدعوة الإسماعيلية

تجدر الإشارة هنا إلى أن رتب الدعاة ومراتب الدعوة الإسماعيلية تتغير ، على حسب المتغيرات ، من حيث هي مسميات عبر التاريخ الإسماعيلي ، وفقاً لظروف الإقليم ، أو كما يطلق عليها الإسماعيليون «الجزيرة»[18] . كما تتغير وفقاً للدور نفسه ، إن كان دور كشف أو دور ستر[19] . وقد يلاحظ الباحث المتخصص في الدراسات الإسماعيلية مثل هذه الاختلافات في الكتب الإسماعيلية في الفترة المبكرة للدعوة . فجعفر بن منصور اليمن بوصفه داعياً

فاطمياً ، يذكر في كتابه «الكشف» بعض الألقاب أو الرتب التي كانت تستخدم للدعاة ، ولا يجد الباحث لها ذكراً في المراحل التاريخية اللاحقة للدعوة الإسماعيلية . فمن هذه الألقاب أو الرتب رتبة «الكالي» و«الرقيب» و«ذو مصّة»[20] . ويزيد مصطفى غالب ، محقق كتاب «الكشف» ، أن تلك الألقاب قد استُخدمت في دور الأئمة الإسماعيلية المستورين ، وذلك بعد محمد بن إسماعيل . ويبدو أن رتبة الرقيب لها اختصاصات الرتبة نفسها التي تسمى «الجناح» في ما بعد[21] .

ومن الغريب أن نجد تسميات أخرى يوردها المؤلف نفسه في كتب أخرى له . ففي كتاب «الشواهد والبيان» و«الرضاع في الباطن» ، يذكر ابن منصور اليمن مراتب الدعوة الإسماعيلية على أنها سبع مراتب ، وهي ما يسميها بحدود الدين ، والتي هي : الإمام ، الحجّة ، ذو المصّة ، الباب ، الداعي ، المكالب أو المكاسر ، وأخيراً المؤمن[22] . فإذا أُضيف «الناطق» و«الأساس» إلى تلك الحدود أصبحت تسعاً . أما القاضي النعمان فيوافق ابن منصور اليمن ، ويحدد مراتب الدعوة بتسع مراتب ، إلا أنه يذكر مسميات مختلفة لحدود الدين . فهو يوافق السابق بالناطق والأساس والإمام والحجة والداعي ، ويأتي بأسماء لمراتب مثل لاحق وجناح ومأذون ومستجيب ، قد تكون لها الاختصاصات نفسها التي للباب وذي المصّة والمكالب والمؤمن[23] .

وعندما يتّفق الدعاة الأوائل على أن مراتب الدعوة وحدود الدين تسع ، يظهر لنا ترتيب آخر يضم عشر مراتب . فأبو يعقوب السجستاني قد ذكر حدود الدعوة على الوجه التالي[24] :

1- الناطق ، وهو الرسول

2- الوصيّ ، ويسمى الأساس واللاحق

3- الإمام, ويُسمى المُتِمّ

4- الحجّة ، ويسمّى أيضاً اللاحق

5- اليَد ، وهو مساعد اللاحق ، وهو ذو المصّة

6- الداعي ، وهو الجناح

7- المأذون المطلق

8- المأذون المحدود

9- المؤمن

10- المستجيب

أما في «راحة العقل» فإن الكرماني يفصّل لنا وظائف كل رتبة على حدة ، لمن سماهم في كتابه بالحدود السفلية . ثم يقارن كل رتبة بمثيلتها العلوية في العالم العلوي . فوفقاً لمقالة الكرماني هناك مراتب كلية : وهي الناطق والوصي والإمام . وتلك المراتب الثلاث ، لما لها من صفات الكمال ، هي التي تقود المراتب السبع الباقية . ويفصّل مراتب الدعوة على الوجه الآتي[25] :

1 - الناطق : وله رتبة الرسالة والنطق بالتنزيل .

2 - الأساس : وله رتبة الوصاية وتأسيس القوانين والتأويل .

3 - الإمام : وله رتبة الأمر وسياسة الأمة بتطبيق الشريعة تنزيلاً وتأويلاً ، أي ظاهراً وباطناً .

ويختلف الكرماني في ذكر مراتب الدعوة عن المراتب التي يذكرها باقي المؤلفين الإسماعيلية[26] . فيذكر الكرماني ما سماه بالمراتب التابعة ، وهي التابعة للمراتب الكلية ، فيبدؤها بأول تلك المراتب وهي رتبة الباب ، وهي الرتبة الرابعة من حدود الدعوة الأرضي . فيقول :

1 - الباب : وله رتبة فصل الخطاب .

2 - الحجّة : وله رتبة الحكم في ترتيب المراتب ، وإيجاد التوازن بين الآراء والاعتقادات في حال الاختلاف .

3 - داعي البلاغ : وله رتبة الاحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية ومراتبها في وجوداتها وتعريف المعاد .

4 – الداعي المطلق : له رتبة تعليم العبادة العلمية (الباطنية) ، ونشر التأويل وتعريف الحدود العلوية .

5 – الداعي المحصور (المحدود) : وله رتبة تعليم عبادة الباطن والتعريف بالحدود السفلية .

6 – المأذون المطلق : له رتبة أخذ العهد والميثاق ، والتعريف برسوم الدين وآدابه .

7 – المكاسر أو المكالب ، وهو المأذون المحصور (المحدود) : له رتبة المكاسرة وجذب الأنفس المستجيبة وهدايتها إلى المذهب الإسماعيلي .

وتختلف الدعوة الإسماعيلية في اليمن اختلافاً طفيفاً عما ذُكر سابقاً عن حدود الدعوة . فوفقاً لما ينقله الحامدي في «كنز الولد» عن قصيدة أبي تمّام الذي يقول[27] :

يكون في الأول «**مستجيبا**» حتى يصير «عالما» نجيبا
ثم يصير «**داعيا**» و«**مرشدا**» لمن به من حيرة الشَّك اهتدى
ثم يصير بعده «**جناحا**» قد جعل العلم له مباحا
ثم يصير «**لاحقا**» مؤيدا موفقاً في أمره مسدّدا
ثم يكون بعده «**إماما**» مقدّسا مؤيداً تماما
لأنه يأخذ باللطيف من حدّه العالم بالكثيف

والأبيات الشعرية السابقة تبيّن المراحل التي يسلكها المستجيب ، والخطوات التي يتخذها ليتدرج في الدعوة . وهذه الرواية على الظن الغالب تبين تدرج الإمام جعفر الصادق في الدعوة ، على حد زعم الداعي أبي تمام[28] . وقد كشف الحامدي في «كنز الولد» عن تصنيف آخر لمراتب الدعوة الإسماعيلية يعتمد على ما ذكره السجستاني في كتاب «البشارات»[29] . والجدير بالذكر أن

السجستاني نفسه يعطي تصنيفاً مختلفاً لمراتب الدعوة ، في كل مرة يكتب فيها كتاباً[30] . إلا أنه في «البشارات» ينفرد بالتصنيف الذي يبدأ برتبة «المستجيب» ، وينتقل إلى الرتبة الأعلى ويسميها «المستبصر»[31] ، ثم «المجتهد» ، فرتبة «اللاحق» ، ثم «الإمام» و«الوصي» ، وأخيراً «الرسول» بوصفه أعلى مرتبة من المراتب الأرضية للحدود[32] .

ويشرح الحامدي ضرورة وجود ثلاثة من الحدود السفلية لتمثيل الدعوة الإسماعيلية في دور الستر ؛ أي عند استتار الإمام عن أعدائه . فلا بدّ لكل من المأذون المحدود والمأذون المطلق والداعي المطلق ، بوصفهم ممثلين للحدود السفلية ، أن يكونوا حاضرين ، ويمارسوا نشاطهم الدعوي . ويؤكد الحامدي أنه لا وجود للدعوة الإسماعيلية من غير وجود هؤلاء الحدود الثلاثة في ساحة الدعوة[33] . وعلى كل ما سبق يمكننا القول بأن مسميات الحدود وواجباتهم عرضة للتغيير ، على حسب معطيات الدور ، كشفاً كان أم ستراً . فعندما تحيط النوائب بالدعوة وتكون حياة الإمام مهددة بالخطر ، يأتي دور الستر ليكون زمن التقية ، عندها تتغير الأوامر ، أوامر الدعاة ، لتواكب روح الحياة الاجتماعية والسياسية الجديدة . ونلاحظ أن دعاة الدعوة الإسماعيلية في اليمن كعلي بن الوليد ، ومن بعده علي بن حنظلة الوداعي (ت . 626هـ/ 1229م)[34] قد تبعوا الحامدي في تصنيفه لمراتب الحدود الأرضية للدعوة الإسماعيلية[35] .

العهد الإسماعيلي عند البغدادي

يذكر البغدادي العهد الإسماعيلي في كتابه «الفَرق بين الفِرق» على النحو الآتي :

> جَعَلْتَ على نفسكَ عهد الله وميثاقه ، وذمَّته وذمَّة رُسُله ، وما أخَذَ الله تعالى على النَّبيِّين من عهدٍ وميثاق أنَّكَ تَسْتُر ما تسمعه منّي ، وما تعلمه من أمري ، ومن أمرِ الإمام الذيً هو صاحب زمانك ، وأمر أشياعه وأتباعه ، في هذا البلد وفي سائر البلدان ، وأمر المطيعين له من الذكور والإناث . فلا تُظهرُ من ذلك قليلاً ولا كثيراً ، ولا تُظهِر شيئاً يدلُّ عليه من كتابةٍ أو إشارةٍ ، إلاَ ما أذنَ لك

فيه الإمام صاحب الزمان ، أو أذنَ لك في إظهاره المأذونُ له في دعوته ، فتعمَل في ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك فيه . وقد جعلتَ على نفسك الوفاءَ بذلك ، وألزمته نفسك في حالَتي الرِّضا والغضب ، والرغبة والرهبة .

قال : نعم . فإذا قال «نعم» ، قال له

وجعلت على نفسك أن تمنعني وجميع مَن أُسمِّيه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله وميثاقه عليك وذمَّته وذمَّة رُسُله ، وتنصحهم نُصْحاً ظاهراً وباطناً . وأن لا تخون الإمام وأولياءه وأهل دعوته في أنفسهم ولا في أموالهم . وأنك لا تتأوَّل في هذه الأيمان تأويلا ، ولا تعتقد ما يحلّها . وأنك إن فعلت شيئاً من ذلك ، فأنت بريءٌ من الله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى في كتبه . وأنَّك إنْ خالفتَ في شيء مما ذكرناه لك ، فلله عليك أن تحجَّ إلى بيته مائة حجَّة ماشياً نذراً واجباً . وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه ، صدقة على الفقراء والمساكين . وكل مملوك يكون في ملكك ، يوم تخالف فيه أو بعده ، يكون حراً . وكل امرأة لك الآن أو يومَ مخالفتك ، أو تتزوجها بعد ذلك ، تكون طالقاً منك ثلاث طلقات . والله تعالى الشاهدُ على نِيَّتكَ وعَقْد ضميرك فيما حلفت به .

فإذا قال «نعم» ، قال له :

كفى بالله شهيداً بيني وبينك .

العهد الإسماعيلي عند الغزالي

أما أبو حامد الغزالي فقد أورد العهد الإسماعيلي في كتابه «فضائح الباطنية» بصياغة مختلفة عن تلك التي أوردها البغدادي . وربما يأتي الاختلاف بينهما لرجوع الغزالي إلى مراجع كثيرة ومختلفة . وعلى الرغم من ذلك ، فلم يضف الغزالي معلومات مهمة إلى ما أورده البغدادي . وتأتي أهمية ما كتبه الغزالي بوصفه عهداً إسماعيلياً من أنه النص الوحيد الذي ورد لخصوم الإسماعيلية في كتاب إسماعيلي . وقد ردّ عليه ونقده الداعي الإسماعيلي

اليمني علي بن الوليد في كتابه «دامغ الباطل وحتف المناضل» الذي ذكرناه سلفاً .

ويذكر الغزالي في «فضائح الباطنية» أن الداعي الإسماعيلي يربط المستجيب بمواثيق مغلظة ، ويكون ذلك على شكل قَسَم لا يستطيع هذا الأخير الفكاك منه . ويزعم الغزالي أن العهد الإسماعيلي هو الآتي :

> جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمّة رسوله عليه السلام ، وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق ، أنّكَ تُسرُّ ما سمعته منّي وتسمعه ، وعلمته وتعلمه من أمري وأمر المُقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الإمام المهدي ، وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته ، وأمور المُطيعين له على هذا الدين ، ومُخالصة المهدي ومخالصة شيعته من الذكور والإناث ، والصغار والكبار ؛ ولا تُظهر من ذلك قليلاً ولا كثيراً تدلّ به عليه ، إلا ما أطلقت لك أن تتكلّم به ، أو أطلق لك صاحب الأمر المُقيم في هذا البلد أو غيره ؛ فتعمل حينئذ بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعهدّاه . جعلت على نفسه الوفاء بما ذكرته لك ، وألزمته نفسك في حال الرغبة والرهبة ، والغضب والرّضا ، وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تمنعني وجميع مَن أُسَمِّيه لك وأُبَيِّنه عندك مما تمنع منه نفسك ، وأن تنصح لنا وللإمام وليّ الله نصحاً ظاهراً وباطناً ، وألا تخون الله ولا وليه ولا أحداً من إخوانه وأوليائه ومن يكون منه ومنّا بسبب : من أهل مال ونعمة ؛ وأنه لا رأي ولا عهد تتناول على هذا العهد بما يُبطله . فإن فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم أنَّك قد خالفته ، فأنت بريء من الله ورسله الأولين والآخرين . ومن ملائكته المقرّبين ، ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين ، وأنت خارج من كلّ دين ، وخارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وداخل في حزب الشيطان وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلاناً بيّناً يعجل لك بذلك النّقمة والعقوبة إن خالفت شيئاً مما حلَّفْتُك عليه : بتأويل أو بغير تأويل . فإن خالفت شيئاً من ذلك فلله عليك أن تحجّ إلى بيته ثلاثين حجّة نذراً واجباً ، ماشياً حافياً . وإن خالفت ذلك فكلّ ما تملكه في الوقت الذي

تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رَحِم بينك وبينهم . وكلّ مملوك يكون لك في ملكك يوم تخالف فيه فهم أحرار ؛ وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها في قابل فهي طالق ثلاثاً بتّة إن خالفت شيئاً من ذلك ، وإن نويت أو أضمرت في يميني هذه خلاف ما قصدت فهذه اليمين من أوّلها إلى آخرها لازمة لك . والله الشاهد على صدق نيّتك وعقد ضميرك . وكفى بالله شهيداً بيني وبينك . قُل نعم ! فيقول «نعم» ! .

ويؤكد الداعي الإسماعيلي علي بن الوليد أن الغزالي في الحقيقة لم يذكر العهد الإسماعيلي الصحيح ، وإن اقتبس بعض العبارات منه . وصرَّح علي بن الوليد بأن الغزالي قد تعمّد ، وبسوء نيّة ، تحريف نصّ العهد ، فقام بتشويه بعض عباراته ليساير مقاصده العدائية . كما يضيف ابن الوليد بأنّ الغزالي قد أهمل أيضاً ذكر بعض الجمل من نصّ العهد الإسماعيلي الأصلي ، وبخاصة تلك التي تبيّن الهدف والقصد من هذا العهد . تلك الجُمَل ، على حدّ زعم ابن الوليد ، كادت تكون كافية لدرء الأقاويل الخبيثة عن عقائد الإسماعيلية . فتلك الجُمَل تُبيّن مفاهيم العبادات عند الإسماعيلية ، كالصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد وإتيان الطاعات واجتناب المحرمات . يقول ابن الوليد[36] :

إنَّ ما أورده هذا المارق من الكلام الذي زعم أنَّه نسخة العهد فيه شوان كَلم من العهد الكريم قد شابها بعث[37] كلامه الذي ليس بثابت في اللفظ والمعنى ، ولا مستقيم ، والذي استرق ما أورده من ذلك حول ألفاظه ، وبدّل وأزال درر سمطه المنظمة (التي) كانت فيه عن أماكنها ، وعطل ثم أسقط منه هذا المارق ما هو العُهدة من المعاهدة على إقامة الصلوات وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحجّ إلى بيت الله الحرام ، والجهاد لأعداء الله مع وليّه عليه السلام ، واجتناب المحرمات ، والانتهاء من المحظورات ، والعمل بجميع الطاعات .

ولسوء الحظّ ، لم يورد ابن الوليد في كتابه نصّ العهد . ولعله بذلك قد وافق الغزالي بأن العهد من السّريَّة بمكان يتحتَّم عدم ذكره أو كتابته[38] . إلا أنه

من الغريب جداً أن ابن الوليد في مواضع كثيرة من كتابه يوافق على ما أورده الغزالي من معلومات ، غير أنه يُنكر الأسلوب التي وُضعَت فيه تلك المعلومات . ويزعم ابن الوليد أن أسلوب الغزالي قد أخفى بين ثَناياه سوء نية وخُبث ، يؤديان إلى تغيير الحقائق وتشويه صورة الإسماعيلية[39] .

العهد الإسماعيلي عند أبي محمد

وبتفصيل أكثر يقدِّم لنا أبو محمد العهد الإسماعيلي في مختصره ، ولكن بالصورة نفسها التي استعرضها البغدادي والغزالي في كتابيهما تقريباً . فقبل أن يذكر صيغة العهد ، يشرح أبو محمد كيف يجمع الداعي الإسماعيلي المستجيبين في مكان سرّي . ويصف الموقف العام على الوجه الآتي :

> ويتقدم من يأخذ عليهم العهد ، مظهراً للنُسك ، خاشع القلب ، غاضّ الطرف . فيحمد الله تعالى ويصلّي على النَّبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرأ عليهم آيات من كتاب الله تعالى فيها ذكر العهد ، كقوله ((والموفون بعهدهم إذا عاهدوا))[40] ، وقوله : ((ومن أوفى بعهده من الله))[41] ، وما شابه ذلك . ثم يقول :
>
> إخواني إن الله تعالى دعا إلى الوفاء بعهده ، فمن كان منكم راغباً إلى مقالتنا هذه ، داخل في ملَّتنا ، طالب سرّ الله تعالى عليه ، مجتهداً في الدّخول بجملة أوليائه الذين ((. . . لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))[42] . فمن علم منكم في نفسه عجزاً ، وقلَّة كتمٍ لسرِّنا ، فليذهب حيث شاء . ومن كان منكم متواقياً كاتماً فليقف . فإذا قالوا «رضينا» ، قال :
>
> بسم الله الرحمن الرحيم
>
> أوجبتم على أنفسكم وألزمتم أعناقكم عهد الله تعالى المسؤول المؤكّد ، وميثاقه المغلّظ المشدّد ، بطاعة منكم ورضاً على سبيل الرغبة لا الرّهبة . ولا يشوب ذلك منكم تدليس ولا استعمال مداجاة ولا مداهنة ، بنيّات صادقة وأنفس طيبة وسرايرٍ مخلصةٍ بريئةٍ من الغشِّ ، على ما نطقت به ألسنتكم عند سماعٍ

ما أعاهدكم به . لتعبدوا الله ، ووليه فلان بن فلان أمير المؤمنين ، بعد أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وصيَّهُ ووليّ المؤمنين بعده . ثمَّ الأئمة من ذريّته ، مَن اختصَّ الله تعالى منهم بالإمامة ، واحد بعد واحد ، لا يخلو منهم زمان ولا أوان . وأنَّ إمام العصر فلان بن فلان ، مفترض الطاعة ، إليه منتهى الإمامة ، ووصيّته وصيّة من قبله ، إليه يكتم هذا السرّ ، وكل ما يأمركم به من السّمع والطاعة . فلا تخالفوه ولا تعصوه ، وتصدّقوه ولا تكذّبوه ، وتنصروه ولا تخذلوه ، ولا تنقضوا ما أمركم به ، وتجاهدوا معه أعداءه ، وتفضلّوه على من سواه . وتبرأوا من أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وأشياعهم وأتباعهم . وتلزموا أنفسكم ما التزمتها من الطاعة والعهد ، كاتمين ما ألقيت إليكم ، وسمعتموه من تأويل القرآن ، وشريعة آدابها علم من علمنا ، مما يجب ستره . رعاية منكم لأمانة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مُعترضين ولا مُصَرِّحين حتى تَلْقوا الله تعالى . وعلى أنَّكم ترضوا بما يجرى به من أحكام عليكم ، من وضعٍ ورفعٍ ، وإعطاءٍ ومنعٍ ، ومثوبة وعقوبة ، ورضاء وسخْط . فمن نكث بما أُكره على نفسه سرّاً أو جهراً ، مُخفيّاً (أو) مُختالاً ، مداهناً أو غير مداهنٍ ، فهو بَراء من الله ومن رسوله ومن التوراة ومن الإنجيل والزّبور والفرقان العظيم والكلمات التّامات . ولا يقبل الله تعالى له صرفاً ولا عدلاً . وعليه المَشي إلى بيت الله الحرام حافياً راجلاً ، لا يأجره الله عليه إلا إن أوفى بهذا العهد . وأشهدتم الله على أنفسكم ، وكفى بالله شهيداً . قولوا نعم ، فإذا قالوها ، قال :

أعاننا الله وإياكم معاشر المعاهدين على الوفاء بعهده ، وختم لنا وإيّاكم بالنيّات الصحيحة ، هاتوا صدقة نجواكم .

و«النجوى» عند الإسماعيلية عبارة عن مبلغ من المال ، يتراوح ما بين سبعة دنانير واثنى عشر ديناراً ، يتبرع به الإسماعيلي في مناسبات مختلفة ، أو عندما يحاول الاطلاع أو معرفة بعض علوم الباطن[44] .

العهد الإسماعيلي عند جعفر بن منصور اليمن

وفي كتاب «الكشف» ، يعطي جعفر بن منصور اليمن ، وهو باب الأبواب للإمام الإسماعيلي والخليفة الفاطمي آنذاك ، بضعة أسطر من العهد الإسماعيلي . ويبدو أن هدف جعفر بن منصور اليمن من ذكر تلك النبذة من العهد ، كان لتذكير قارئه بأهمية الحفاظ على سرية ما يقرأه في كتاب «الكشف» من علم وتأويل . فالعهد عند جعفر بن منصور اليمن ضرورة إيمانية ، ولا بد أن يكون أوّل عملٍ ديني يقوم به المؤمن . والإسماعيلية يأخذون بهذا المعتقد بوصفه أساساً ، من حيث إن الله عندما خلق آدم ، وفقاً لهذا المعتقد ، أخذ عليه عهداً تكرر مثله مع كل الأنبياء والرسل[45] . وللأسف لم يذكر ابن منصور اليمن ما إذا كان هذا العهد هو العهد نفسه الذي يؤخذ على المستجيبين أم لا . وعلى أيّ حال ، يبدو أن العهد المذكور في «الكشف» يتشابه في بعض جُمَله مع العهد الذي ذكره البغدادي وأبو محمد في كتابيهما . فالتشابه واضح في صيغة العهد ، وبخاصة في أسلوب السؤال والجواب بين المرشد والمستجيب ، فالمرشد يقول العهد ، وما على المستجيب إلا الإقرار والإجابة بنَعَم[46] . يقول ابن منصور اليمن في «الكشف» :

> أوّل ما يحتاج إليه المؤمن من أمر دينه ومعرفة الحقِّ وأهله ، الأمانة لله ولأوليائه ، لقول الله عز وجل : ((إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا))[47] . وإني يا أخي آخذ عليك عهد الله وميثاقه ، وأشدّ ما أخذ الله على أنبيائه ورسله دائماً ، من عهد مُؤكَّد وميثاق مُشَدَّد . وأُحَرِّم عليكَ ما حَرَّمَ الله على أنبيائه ورسله وأبوابهَ وحُجَجه ، وكذلك أبوك الذي سقاك ، وأخوك الذي رضع معك من شربٍ واحد ، مثل المَيِّتة والدَم ولحم الخنزير ، أن تذيعه . ولا يقرأه غيرك ولا تلفظ به لأحدٍ من ولد آدم ((فطرة الله التي فطر الناس عليها))[48] . ولا تكْتبه لأحد ، إلا لمُسْتَحقٍّ مؤمنٍ مُحقٍّ . فإنْ تَعَدَّيت وفَعَلت غير الذي آمُرُكَ به وأذَعته ، فقد برئَ الله منكَ ورسوله ووصيّه ، وسَلَّطَ الله عليك سيف الحقِّ ينفذ فيه حكمه ولو كره المُشركون .

العهد الإسماعيلي عند شمس الدين الطّيبي

كان الداعي الإسماعيلي السوري شمس الدين بن أحمد (أو محمد) الطّيبي شاعراً لبلاط الإمام الإسماعيلي النزاري علاء الدين محمد الثالث (ت . 653هـ/ 1255م) وداعي دعاته[49] . وقد نقل الطيّبي في كتابه «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» العهد الإسماعيلي الذي يأخذه المُرشد على المستجيب من رسالة لنصير الدين الطوسي (ت . 672هـ/ 1274م)[50] ، الذي سمعه بدوره مباشرة من علاء الدين محمد الثالث[51] . ويصوِّر الطيّبي في كتابه مجلساً في مكان مجهول يأتيه المستجيب ليجتمع مع مجموعة من الدعاة ، وهم من سمّاهم «جماعة المؤمنين» ، يفترض أن يكونوا من دعاة المنطقة ، التي يسميها الإسماعيلية بالجزيرة . ويقود المستجيبَ داعٍ يكون لهم بمثابة المرشد ، وهو على ما يبدو واحد من دعاة الجزيرة المميزين . وفي كلّ الأحوال يجب أن لا يقلّ عدد الدعاة عن ثلاثة : النقيب ، وهو رئيس المجلس ، وشاهدين من الدعاة ، يشهدان على عهد المستجيب . ويزودنا الطيبي بمعلومات وتفاصيل دقيقة جداً عن المجلس والمستجيب والدعاة . فيقول أن عُمْر المرشد لا بدّ أن يكون فوق الأربعين عاماً ، وهذا ينطبق أيضاً على النقيب والشهود . كذلك لا بد أن يكون النقيب «ليّن القول ، حسن الصورة ، رَحب الصدر ، لطيف التدبير ، ممازج العشرة ، فصيح النطق»[52] . ووفقاً لما يذكره الطيبي في «الدستور» ، فإن المرشد في بداية الاجتماع يقوم أمام صفّ الدعاة ويقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل بعضنا لبعضٍ دليلاً ، وبَعثَ فينا رسولاً ، وأوضح لنا السّبيل ، وفتحَ علينا من كشف الأسرار ما هو ﴿أشد وطئاً وأقوم قيلاً﴾[53] . والصلاة والسلام على مَن نقلته الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيّة ، محمّد المصطفى ، خاتم الأنبياء ، وعلى آله بني عليّ المُرتَضى ، والأئمّة الطّاهرين المستورين منهم والظاهرين ، الذين بهم نهتدي ، فهم إلى المؤمنين دليلاً ، وسَلّم تسليماً كثيراً .

معاشر المؤمنين الموقنين ، وجماعة العارفين الحاضرين ، أيدكم الله بأنواره ، وأشهدَكم على حقائق أسراره ، ولا زلتم شموساً للمحققين ، وضياءً للطّالبين ، ونجاة للمرشدين ، ومنهاجاً للهُدى ، وأعلاماً للهِداية ، يفوز الرّاغب إلى لقائكم بالنَّجاة من مهاوي الغيّ ومهالك الرّدى .

هذا فلان (. . .)[54] قد عرفتم ظاهره ، وكشفتم سرائره ، وقد قصدكم طالباً ، ولأنواركم راغباً ، وبأفضالكم مُسترشداً . وأنتم لا يَشقى عندكم جليس ، ولا نجيب[55] في حبّكم أنيس . فصلوا حبل معناكم بحبله ، وأجيبوه بما عَلَّمكم الله من فضله ، وأحْيُوهُ منْ مَوْتَ جهلهن ، وعَرِّفوهُ حقائق الدّين القويم ، وأرشدوه إلى الصراط المستقيم . وزَيِّنوا ظاهره بجواهر معاني المَذْهَب والشرائع ، وباطنه بمعارف عوالم العقول والنّفوس والأفلاك والطبائع . وشَوِّقوه إلى أوطانه ، ودلّوه على معدنه ومكانه ، وأرشدوه إلى معرفة قطب زمانه وأوانه . وأفيضوا عليه مما أفاض به مولاكم عليكم ، وأحسنوا إليه كما أحسن إليكم . واسألوا السيّد الجليل فلان (. . .)[56] ، زاده الله إيماناً وإحساناً وتفضيلاً ، أن يتصدّق وينظر بعين رحمته إليه . وأن يتولّى تربيته وتكميله وتتميمه ، وتعليمه وتقويمه . أعزَّ الله سلطان عظمته وكلماته ، ونصركم الله بأوليائه ، وأظهركم على أعدائه .

فإذا فرغ النقيب من هذا المقال وشهدت الجماعة ، يجلس كما يجلس في الصلاة ويقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون﴾[57] .

ثم يقسم المستجيب فيقول :

أقسم بالله الذي لا إله إلا هو ، الحيّ الجبّار القهّار ، عالم الغيب والشّهادة ، والنَّقص والزيادة ، القائم على كل نفس بما كسبت ، القويّ الشّديد الآخذ لها بما (أ)ظهرت وأضمرت ، العليم بما في الضمائر ، الخبير بمكنون السرائر ،

الذي لا تَخفى عليه خافية في الأرض ولا في السَّماء ، ولا تفوته غوامض الأشياء . الذي مَن أقسَمَ به كاذباً واستشهده باطناً استحقَّ الخزي والخذلان ، وحلَّ في مقام السّخط والهَوان . وأُقسم به ثانياً وثالثاً ورابعاً ، كما أقسَمتُ به أوّلاً . وأُقسم بجميع أسمائه الحُسنى وصفاته العُليا ، وأُشهد ملائكته المُقَرَّبين ، وأرواح أنبيائه المُرسَلين ، ونفوس الصادقين الصّالحين من عباده العارفين ، إنَّني طالبٌ راغبٌ لا يَشوبُ باطنه الدَّنَس ولا الشَّك ولا الرَّيْب ولا الشُّبْهَة في الإيمان . وليس لي قصد في هذه الرَّغبة إلا تحقيق أمر الدين ، وطلب معرفة حقيقة اليقين ، وتصحيح الاعتقاد ، والدخول مع الفرقة الناجية من الطغيان والفساد ، ومعرفة مولانا صاحب الوقت وإمام الزّمان . وإني إذا فهمت أمراً وعرفت سرّاً ، أكتمه وأخفيه عمَّن لا يعتقد بمعتقدي ، ولا أظهره لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنيَّة ولا إشارة ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ، ولا ينطق به لساني . وإن أضمرت خلاف ما أنطق به ، أو كَنَّيْت أو تَخَلَّيت أو تفكَّرت أو توهَّمت ، أكون كافراً بالله وبرسله وأوليائه وملائكته وكتبه ، وأكون محارباً لهم ومنكراً أمرهم ، ومخالفاً قولهم ، وذابحهم وشارب دمائهم ، وبريئاً منهم في الدنيا والآخرة ، وخارجاً من دين الإسلام والمروءة والإيمان ، والله على ما أقول وكيل .

كان ذلك بعضاً من العهد الإسماعيلي الذي يأخذه المرشد على المستجيب . ونلاحظ بأنّ هناك تشابهاً بين العهد الذي ذكره علماء السنّة من أمثال البغدادي والغزالي وأبي محمد والنويري ، وبين العهد الذي ذكره الطيبي في «الدستور» . ومن ناحية أخرى فإن هناك بعض الاختلافات الشكلية والجوهرية بين العهدين . والمصادر التي بين أيدينا لا تزودنا بمعلومات عمّا إذا كان الناطق بالعهد يجب أن يتلفظ به باللغة العربية أو سواها . وبالرغم من ذلك نرى كتاباً كتب بالأردية ككتاب «هاري إسماعيلي مذهب كي حقيقة أور أوسكا نظام» لزاهد علي ، وهو باحث معاصر من الإسماعيلية ، قد كتب العهد بالأردية . ولم يذكر زاهد على في كتابه ما إذا كانت صياغة العهد مترجمة عن العربية أم لا . وفي حقيقة الأمر أن المرء يستطيع أن يرجّح هنا أن الداعي

والمستجيب الإسماعيلي على السواء ينطقون العهد بلغتهم المحلية ، فليس من الضروري النطق به باللغة العربية ، وذلك لصعوبة لفظها وفهمها على الأعاجم من غير المتخصصين . ولو أن الناطقين بغير العربية التزموا بنطق العهد باللغة العربية ، لعومل نص العهد على أساس أنه نص قدسي ، وهذا لم يكن . وبناء على ما سبق ، نستطيع القول بأنه إذا كان نص العهد نصاً غير قدسي ، فإنه يحتمل الترجمة والزيادة والنقصان ، حسب ظروف الزمان والمكان ، وتوافقاً مع زمن الإمام والمجتمع الإسماعيلي . وعلى سبيل المثال ، فإن العهد لا بد وأن يختلف نصه بين فترة الستر والتقيّة ، وبين فترة الكشف أو ظهور الإمام . وهذا ربما يوضح الاختلاف بين نص العهد في كتاب «الكشف» ونص العهد في «الدستور» . وعلى أي حال ، ومن وجهة نظر الإسماعيلية ، فإنه من الضروري جداً أخذ العهد على المستجيبين ، ويكون ذلك بعد أن تتهيأ ظروف المستجيب لذلك ، وتكتمل فيه مواصفات الاستجابة ، التي يحددها الطيبي على أنها الشروط التي لا بد منها لصاحب الأهلية والاستحقاق ، وهي على ما يأتي :

> ينبغي أن يكون المستجيب بالغاً عاقلاً رشيداً ، قد كبر وبلغ في السن . ولا يكون صاحب عاهة ظاهرة في جسده ، أو بشع الصورة ، ولا رديء الخلقة بحيث لا يتجاوز الحد من القبح . ولا يكون فيه شيء من العلامات الرديئة التي تدلّ على الخبث والمكر والفساد ، مما قد ذُكر في كتب الفراسة . هذا من جهة الصورة ، وأما من جهة المعنى فيجب أن يكون حسن الأخلاق ، متبرقعاً بالحياء ، غير مجادل ولا مستهزئ ، ولا هتّاك ولا مرتاب ، ولا وقح ولا مستخفّ . ويكون مستمسكاً بأوامر الدين والشريعة ، معظماً لأهل الصلاح والدين ، مجانباً لأهل الجهل والفساد . فإن (أ)ظهر من بعد ما ذكرنا صدق الطلب ، والرغبة بتحصيل المعرفة ، والإخلاص في الإدارة والالتزام ، أُخذ عليه العهد ، من بعد أن يؤكد في تجريبه وامتحانه ، ويتكشف عن دينه ومذهبه وعقيدته التي تربّى فيها ونشأ عليها ، ويُفحص عن أقواله وأفعاله وأحواله جميعها ، الظاهرة منها والباطنة . ثم إذا عُرف منه السداد والرشاد فيما ذكرنا ، يجرّب بترك المعاصي ، وعدم مواصلة من عادى أهل بيت النبوة الكرام ،

وخالفهم وقدّم غيرهم عليهم . ثم يمتحن بترك المطلوبات الجسمانية ، والمجاهدة بالنفس والمال في سبيل العقيدة وأداء أحكامها . فإن ظهر في جميع ما ذكرناه محقاً في الطلب ، مجدّاً في الرغبة ، مطيعاً مستسلماً ، ويُؤمر بالاغتسال والتطيّب . فإذا اغتسل وتطيّب ، وصفّى خاطره وظاهره وباطنه من كل شبهة وريب ، وشكٍّ وزيغٍ ، وهمٍّ وغمٍّ ، حتى يصير كلوحٍ ساذجٍ يتقبّل الصورة اليقينية والنفوس الإلهية . عندئذٍ يستسلم لجماعة المؤمنين استسلام من يريد أن يخرج من الظلمات إلى النور ، ويعلم بحقٍّ ويقين أنه داخل إلى مذهب الحكماء الإلهيين ، وسلوك طريق العلماء الربانيين ، أصحاب بيت النبوة ، وشجرة الحكمة ، وملكة الإمامةو وملّة الرسول الأعظم والأئمة الطاهرين – صلى الله عليهم أجمعين –[58] .

إلا أن الأكثر إثارة لقارئ الدستور هو ما يرويه الطيبي من خطوات يتبعها المستجيب عندما يُؤخذ منه العهد في المجلس المذكور- ويكون ذلك ضمن ما يشبه الطقوس ، التي لا بد أن تُؤدّى بعناية . والحقيقة أن تلك الطقوس لا تقتصر فقط على المستجيب ، بل تُؤدّى من جميع الحضور ، كل بدوره . ولا يتحمل مقالنا هذا نقل كتاب «الدستور» ضمناً ؛ لذلك آثرنا أن نلقي ضوءاً على تلك الطقوس من خلال طرح مختصر عمّا أورده الطيبي في كتابه . وللقارئ الكريم ، إن أراد تفصيلاً أجزل ، أن يرجع لكتاب «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور» . يصف الطيبي مجلس العهد جاذباً اهتمام قارئه إلى المستجيب ، لكونه محور الحديث ، فيصوره واقفاً أمام لجنة الدعاة ، حاملاً بيده اليمنى قدحاً يدور به سبع مرات على جماعة الدعاة مبتدئاً من اليمين ، أي عكس اتجاه الساعة . وتلك الدورات السبع ما هي إلا كناية عن الأدوار السبعة . وعند انتهاء المستجيب من كل دورة ، يخرّ ساجداً ليتبعه الحضور سُجّداً .

ويذكر المستجيب عند كل دورة من الدورات السبع اسم ناطق الدور ووصيّه ، ففي الدورة الأولى آدم ووصيّه شيث ، وفي الثانية نوح وسام ، وفي الثالثة إبراهيم وإسماعيل ، وفي الرابعة موسى وهارون ، وفي الخامسة عيسى وشمعون ، وفي السادسة محمد وعلي – عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة

والسلام – . ويختص المستجيب في الدورة السابعة إمامه الإسماعيلي بالذِّكْر ، وهو صاحب الزمان . أما الشراب الذي في القدح الذي يحمله المستجيب ، فإنه يتغير في كل دورة . ففي الدورة الأولى يسقي المستجيب الدعاة ماءً عند دورانه عليهم . وفي الثانية يُملأ القدح لبناً بدلاً من الماء . وفي الثالثة عسلاً ممزوجاً بماء . وفي الرابعة لبناً ممزوجاً بماء . أما في الدورة الخامسة فيكون عوض المشروب ما أسماه الطيبي «شعاع العقل وبرق الوصول» . ولا ندري ما يقصده الطيبي بشعاع العقل وبرق الوصول؟ فالطيبي يقول بأنه بدل من المشروب ، فهل يقصد بأنه ليس مشروباً؟ ولكنه في الدورة السادسة يذكر «الشراب شعاعاً والماء في قدحين» . فما هو مُركّب شعاع العقل وبرق الوصول؟ ولم يبيّن لنا الطيبي أيضاً ما إذا كان الاسم لمادتين مختلفتين ، أم أنهما اسم لمادة واحدة . وقد يتساءل المرء : أخمرٌ هو؟ [59] أم هو نوع من أنواع البخور أو العطور ، أو النباتات المنبهة أو المهدئة مثلاً؟ أم هو كما اتهمهم به أعداؤهم ، من النباتات المخدّرة ، كالحشيشة أو الخشخاش؟ [60]كل هذه الاحتمالات واردة وتحتمل الصحة أو الخطأ ، إلى أن ينكشف لنا المعنى الحقيقي لشعاع العقل وبرق الوصول[61] .

ولم يذكر الطيبي وقت أخذ العهد أو الفترة الزمنية التي يقضيها المستجيب في المجلس . ولكن على ما يبدو من النص فإن احتفالاً كهذا قد يأخذ نصف يوم تقريباً . عندها قد يتساءل سائل ، وربما يتّهم : ماذا عن الصلاة المفروضة؟ لماذا تجاهلها المؤلِّف؟ ولعل هذا يعطي عذراً لأعداء الإسماعيلية أيضاً بأن يتهموهم بترك العبادات ، وقد يقوى الادّعاء بأن الإسماعيلي إذا ما وصل إلى مرتبة دعوية معينة ، جاز له ترك العبادات الظاهرة . فإنه يُفترض عندها أنه وصل لفهم المعنى الباطني للعبادات ، ولا حاجة له بالأخذ بظاهرها . ولعلنا إذا ما أحسنّا اختيار العذر ، افترضنا أن مثل هذا المجلس لا تتخلله صلاة فرض . وبذلك قد نصل إلى نتيجة افتراضية بأن هذا المجلس ينعقد بين صلاتي العشاء والفجر ، أو الفجر والظهر . ويقوم هذا الافتراض على قياس الفترة الزمنية بين الصلوات .

والحقيقة أن الإسماعيلية يصعب عليهم في مناسبات كثيرة الدرء عن

أنفسهم اتهامات الأعداء بالابتداع والضلالة . فهم عادة ما يكونون في حيرة بين البوح بأسرار الدعوة ، وهذا محظور عليهم ، وبين تجاهل تلك الاتهامات وعدم الرد عليها . لذلك تراهم في أغلب الأحيان يتبنون الخيار الأخير . ولعل ذلك ما يزيد الارتياب في نوع الصلاة التي يذكرها الطيبي في «الدستور» ، والأذان الذي يسبقها . وإن كان الطيبي قد أهمل الشرح والتفصيل لكيفية الصلاة وما يُقرأ فيها من آيات قرآنية أو أدعية ، فإنه لم يهمل ذكر نص الأذان ، الذي أسماه «الأذان الإلهي» . فما هذا الأذان؟

يقول الطيبي :

ثم يُؤذّن بالأذان الإلهي[62] :

> **الله أكبر** عن إدراك الأوهام الإلهية ، **الله أكبر** عن إماطة العقول بمعنويته ، **الله أكبر** عن صفات العقول والنفوس ، **الله أكبر** عن التحديد بالمعقول والمحسوس ، **وأشهد أن لا إله إلا الله** الأوّل الأزله(ي) السابق ، **وأشهد أن لا إله إلا الله** العالم القادر الخالق ، **وأشهد أن محمداً رسول الله** الناطق بالتنزيل ، والدليل إلى أوضح السبيل ، **وأشهد أن علياً ولي الله** ، ووصيه الناطق بالتأويل ، والقائم من بعده بالحقّ المبين ، ونور الله المُدلّ إلى سواء السبيل ، **حي على الصلاة** ، صلاة المتصلين بعلوم الأصول والفروع ، **حي على الصلاة** ، صلاة القائمين بأعمال المعقول والمشروع ، **حيّ على الفلاح** ، بالاستفادة من جاهر أنوار التالي ، **حيّ على الفلاح** ، بالتوجّه إلى أركان البيت المعمور ، **حي على خير العمل** بمعرفة الإمام المقصود ، **حيّ على خير العمل** بمعرفة الإمام المقصود ، حيّ على خير العمل بإجابة الدعاة وإطاعة الحدود ، **قد قامت الصلاة** في قلوب المؤمنين بالتقديس والتمجيد ، **قد قامت الصلاة** في أسرار العارفين بالتأويل والتوحيد ، وحقّت كلمة العذاب على المنكرين بالتقليد ، **الله أكبر** عمّا يتوهم الظالمون ، **الله أكبر** عمّا يتوهم الجاحدون ، لا إله إلا الله العلي المتعالي عن الأوهام والظنون .

ومن النص السابق يتبيّن لنا أن الأذان المذكور أذان لإقامة الصلاة . كما أن هناك إشارة بأن الصلاة ليس فيها حركات كحركات صلاة العبادة ، وإنما هي صلاة «في قلوب المؤمنين» ، ذات أدعية ربما توارثها الإسماعيليون أنفسهم[63] .

ويذكر زاهد علي في كتابه «هاري إسماعيلي مذهب» نصّ العهد الإسماعيلي كما ذكره جعفر بن منصور اليمن والطيبي . إلا أنه قد أضاف إلى نص العهد ما لم يرد عند هذين الأخيرين ، ويبدو أن زاهد علي قد استند إلى مراجع إسماعيلية أخرى مبكرة . وتأتي أهمية الفقرة التالية من العهد ، من كونها في حقيقة الأمر تكاد تكون مطابقة في معناها للمقطع الأخير الذي ذكره كلّ من البغدادي والغزالي والنويري نصاً للعهد . ولحسن الحظ قام الباحث الباكستاني إحسان إلهي ظهير بترجمة نص العهد إلى العربية في كتابه «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» على الوجه الآتي([64]) :

> فمن نكث منكم . . . فهو بريء من الله . . . قولوا «نعم» . وجميع ما يملكه وحوته يداه ، من مال أو أثاث أو عقار أو متاع أو عرَض أو جوهر أو زرع أو ضرع أو سائمة أو عمولة أو ركوبة أو رقيق أو كسب من جميع مكاسب الدنيا ، فهو صدقة على مساكين المسلمين غير مرتجع من ذلك بشيء إليه . . . قولوا «نعم» . وكل ما أفاده في باقي عمره من فائدة ، يقلّ خطرها أو يجلّ ، فهي محرّمة عليه ، لا يفكّه من ذلك إلا الوفاء بما عاهد عليه ، قولوا «نعم» . وكل مملوك يملكه ذكراً أو أنثى ، أحرار لوجه الله ، لا سبيل له ولا لأحد بسببه عليه ، قولوا «نعم» . وكلُّ امرأة له أو يتزوجها في باقي عمره ، فهنّ طوالق ثلاثة البتّة ، طلاق الحرج والسنة عند كل حيضة تطليقة ، لا رجعة له في لك ولا مثوبة ، قولوا «نعم» . وعليه المشي إلى بيت الله العتيق ثلاثين حجة ، حافياً راجلاً ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء ، قولوا «نعم» . وعليه لعنة الله التي لعن بها إبليس وحرّم عليه الجنة . . . وهو بريء من حول الله وقوته . . . وألزمتم أعناقكم عهد الله الكريم . . . . والحمد لله . . . العلي العظيم .

والفقرة السابقة المنقولة من العهد الإسماعيلي ، ربما تجيب عن عدة أسئلة . فكما يتّضح منها أن خصوم الإسماعيلية في نقلهم للعهد الإسماعيلي ، لم يأتوا في الغالب بغير ما أتى به الإسماعيلية في كتبهم . ولا شك أن المرء يتوقع بعض المبالغات في كتابات خصوم الإسماعيلية ، إلا أنه أحياناً لا بد أن

يتوقع أن خصوم الإسماعيلية عادة ما يبنون هجومهم على أدلة ، استندوا عليها من كتب الإسماعيلية أنفسهم .

نعود مرة أخرى لمراسم الاحتفال بأخذ العهد على المستجيب . فعلى ما يبدو أن كل الحركات والطقوس الواردة في الاحتفال ، هي في الواقع من ابتكار الإسماعيلية أنفسهم ، فهي ربما تكون أوامر أصدرها الإمام لتتّبع فتكون تقليداً ، أو أنها اجتهادات دعاة ، ثبتت وترسخت مع الوقت ، فأقرّها الأئمة فيما بعد . ولم يرد إلينا شيء نعرفه مشابه لذلك عن فرقة أخرى من فرق المسلمين قبل الإسماعيلية ، سواء أكانت فرقة شيعية أم سنيّة . وقد أثارت هذه الممارسات حفيظة خصوم الإسماعيلية ، ودعمت رأيهم في اتهام الإسماعيلية باختراع البدعة واحتواء المخرقة . وربما أصبح مدى الاتهام أبعد من ذلك ، حتى وُصِفَ الإسماعيلية بالشرك أو الخروج عن دين الإسلام .

ومن نص العهد السابق الذي دوّنه زاهد في كتابه ، يتضح أنه يجب على المستجيب أن يُقسم بمحض إرادته بأنه ، في أي حال وتحت أي ظرف ، لا بد ألا يكشف أي سرّ من أسرار الدعوة لمن هم غير إسماعيلية . كما لا بد له ألا يصرح ، كتابة أو شفاهة أو إيماءً ، باسم أو هوية الإمام أو أي من الدعاة . والنص أيضاً يشير إلى أنه في حالة عدم التزام المستجيب بكتم الأسرار ، يجب عليه تحمُّل العقوبات المنصوص عليها في العهد ، سواء أكانت تلك العقوبات جسدية أم معنوية . وبينما يصف زاهد علي ، ومن قبله أبو محمد ، العهدَ على أنه قَسَم جماعي يؤخذ من مجموعة من المستجيبين دفعة واحدة ، نرى كلاً من ابن منصور اليمن والبغدادي والغزالي يصورونه على أنه قَسَمٌ يقسم به المستجيب فرداً أمام الداعي . وفي «الدستور» نرى أن عملية أخذ العهد على المستجيب ، عملية سريّة تؤخَذ في مكان سرّي . وتكاد أن تُصَوَّر على أنها عبارة عن عبادة أو شعيرة مقدسة ، يقوم بها دعاة الإقليم من أعلى مراتب الدعوة ، لأخذ عهود الولاء للدعوة من المرشحين لها .

ولعلّ تلك الصورة الأخيرة هي ما لم ينقله المؤرخون عن كتب

الإسماعيلية من المتقدمين والمتأخرين . وربما أضاف البعض ، ممن ناصب الإسماعيلية العداء ، جُملاً لم تُذكر من الإسماعيلية أنفسهم ، على الأقل في عهودهم المكتوبة التي أوردوها في كتبهم . فأبو محمد مثلاً يذكر من ضمن صياغة العهد الإسماعيلي ضرورة تبرؤ المستجيب من بعض الصحابة ، عند قوله[65] :

«وتبرأوا من أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وأشياعهم وأتباعهم» .

والحقيقة أن مثل ذلك وإن ورد في بعض كتب الإسماعيلية ، إلا أنه لم يرد بوصفه جملة من جمل العهد ، لا تلميحاً ولا تصريحاً . ولعل ذلك يكون في مرحلة متأخرة عن مرحلة أخذ العهد ؛ لأن الدعاة في بدء ترسيخ دعوتهم لا يلجأون عادة إلى ما يسبب النفور منهم أو يؤلّب الآخرين عليهم . فالطعن بهؤلاء الصحابة كانت تتمخض عنه صراعات دامية بين فرق المسلمين . وحتى جعفر بن منصور اليمن عندما طعن ببعض هؤلاء الصحَابة ، استخدم الرموز المتعارف عليها عند الإسماعيلية فقط ، ولم يصرّح بكتابة الأسماء علانية ، حين سماهم «رؤوس الشرّ»[66] . كما ينفرد أبو محمد بذكر الصفة أو التسمية التي كان الإسماعيلية يطلقونها على أنفسهم ، على الأقل في اليمن ، وهذه التسمية هي «المعاهِدون»[67] .

خاتمة

يلاحظ المتفحص أن هناك تشابهاً كبيراً بين ما يمارسه المستجيب الإسماعيلي في أثناء تأدية قسمه ، وبين الممارسات التي يقوم بها أعضاء بعض الجماعات والمنظمات السرية ، التي أتت بعد ذلك . وإن كان لتلك الجماعات والمنظمات مآرب وأهداف مختلفة ، فكان البعض منها دينياً ، والغالب سياسياً واجتماعياً . تلك الجماعات تمارس أنشطتها تحت ظلال مختلفة . ويرد مثل هذا التشابه بأن يقوم العضو المُنْضَمّ إليها بتأدية بعض الحركات ، التي تشبه إلى حدٍّ كبير تلك الحركات التي يمارسها المستجيب الإسماعيلي عند أدائه للعهد . هذا إضافة إلى أن البوح أو الكشف عن طقوس وبروتوكولات هذه المنظمات

والجماعات وعهودها ، قد يؤدي إلى تطبيق عقوبة على الخائن . وعندما تثبت الخيانة العظمى ، فقد يؤدي ذلك إلى التصفية الجسدية . وتصف بعض الكتب ، التي نُشرت عن تلك المنظمات ، الطقوس والبروتوكولات التي يقوم بها العضو الملتحق بها[68] . كما تذكر بعض الكتب القَسَم أو الحلْف ، بوصفه عهداً يتعهد به العضو المُنْضَم إلى الجماعة . والجدير بالذكر هنا أن نبيّن أن هناك قَسَماً ، يكون من الضروري على الملتحق بالجمعيات أو المنظمات التلفظ به ، ولكنه غير سرّي ، بل على العكس لا بد أن يكون علنياً . ومثل ذلك قسم رؤساء الدول والوزراء وقادة الجيوش . ونخص بالمثال «قَسَم أبقراط»[69] ، الذي لم يزل يقسم به كل طبيب في العالم أمام الجمعية الطبية أو الهيئة الصحية المسؤولة في الدولة ، فهذا القَسَم تختلف لغاته وتتفق معانيه ، إلا أنه علني ومعروف . فهل نستطيع القول بأن «العهد الإسماعيلي» كان أول قسم لتنظيم دعوي سري في تاريخ الإسلام؟

الهوامش والمراجع

(1) أبو عبدالله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي (كان حياً في النصف الأول من القرن 4هـ/ 10م) . ابن النديم ، محمد بن إسحق : **الفهرست** ، تحقيق : رضا تجدد ، بيروت : دار المعرفة ، 1971 ، ص64 . المسعودي ، علي بن الحسين : **التنبيه والإشراف** ، تحقيق : عبدالله إسماعيل الصاوي القاهرة : دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف ، 1938 ، ص396 .

(2) محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق : الاوداري ، عبدالله بن أيبك : **كنز الدرر وجامع الغرر** ، الجزء السادس المسمى «**الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية**» ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة : المعهد الألماني للآثار ، 1961 ، ص7 . النويري ، أحمد بن عبدالوهاب : **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق : محمد جابر الحيني وعبدالعزيز الأهواني ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 ، 189/25 . عادل العبدالجادر : الإسماعيليون – كشف الأسرار ونقد الأفكار ، **سلسلة الدراسات والبحوث الإسماعيلية** ، الكويت : 2002 ، ص34-35 . , **Encyclopaedia of Islam**, ed. H. Gibb et al., New edition, I, Lieden-London, 1960, vol.1. p. 917 .

(3) يذكر المقريزي أنه قرأ كتاب أخي محسن الذي يقع في بضع وعشرين كراسة . المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي ، 1967 ، 22/1 .

(4) كنز الدرر ، 55/6 .

(5) انظر : اتعاظ الحنفا ، 22/1 .

(6) نهاية الأرب ، 316-195/1 .

(7) قارن ما كتبه عبدالرحمن بدوي في مقدمة تحقيقه لكتاب أبي حامد الغزالي ، **فضائح الباطنية للغزالي** ، القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1964 ، ص ب .

(8) البغدادي ، عبدالقاهرة بن طاهر : **الفرق بين الفرق** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، بيروت : دار المعرفة ، بدون تاريخ ، ص 302-303 .

(9) الفرق بين الفرق : ص 28-29 .

(10) محمد بن الحسن الديلمي اليماني ، عالم زيدي كتب كتابه السابق ذكره في 707هـ/ 1308م . انظر : Brockelmann, Carl, **Geschichte der arabischen Literatur**, 2nd edition, Leiden, 1902, ii, p.241 .

(11) الديلمي : **قواعد عقائد آل محمد** ، تعريف وتعليق : محمد زاهد الكوثري ، صنعاء : مكتبة اليمن الكبرى ، 1987 ، ص 39-41 .

(12) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي : **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، بيروت : دار صادر ، أوفست (بدون تاريخ) ، 397-396/1 .

(13) كنز الدرر ، 106-105/6 .

(14) وهو مؤلف مجهول ، لا نعرف عنه أو منه سوى هذا الكتاب الذي حققه محمد بن عبدالله زربان الغامدي ، وتقدم به لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1414هـ/ 1994م .

(15) قارن العهدين في الصفحات القادمة . ولا شك أن أطول نصّ للعهد الإسماعيلي هو ما ذكره النويري في «نهاية الأرب في فنون الأدب» نقلاً عن أخي محسن . انظر : النويري : نهاية الأرب ، 220-217/25 .

(16) علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن الوليد بن الأنف العبشمي القرشي . انظر : مصطفى غالب : **أعلام الإسماعيلية** ، بيروت : دار اليقظة العربية ، 1964 ، 411-408 . Poonawala, Ismail K., **Biobibliography of Ismaili Literature**, Malibu-California, Undena Publications, 1977, p. 156.

(17) شمس الدين بن أحمد (أو محمد) الطيبي ، مفكر إسماعيلي سوري ، وشاعر بلاط الإمام الإسماعيلي النزاري علاء الدين محمد الثالث . مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص 306 .

(18) قَسَّمَ الإسماعيليون العالم إلى اثنتي عشرة جزيرة ، يرأس كل جزيرة داع بمرتبة «حجة» ، وقد قسَّمت الجزائر حسب أصول شعوبها : العرب ، الفرس ، الترك ، الروم ، الهند ، السند ، الصين ، الزنج ، البربر ، الحبشة ، الصقالبة ، وأخيراً الخزر . القاضي النعمان بن محمد بن حيون

التميمي : **تأويل دعائم الإسلام** ، تحقيق : محمد حسن الأعظمي ، القاهرة : دار المعارف ، 1969 ، 74/2 ، 49-48/3 . مصطفى غالب : **تاريخ الدعوة الإسماعيلية** ، بيروت : دار الأندلس ، ط3 ، 1979 ، ص 28-29 . **الإسماعيليون – كشف الأسرار ونقد الأفكار** ، الكويت : 2002 ، ص64 . Farhad Daftary, **Teh Ismailis**, Cambridge University Press, 1990, p. 228.

(19) تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص34-37 .

(20) جعفر بن منصور اليمن : **الكشف** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : دار الأندلس ، 1984 ، ص27 .

(21) الكشف ، ص27 .

(22) انظر في ذلك : تأويل الدعائم ، 1/21-22 ، 53 .

(23) تأويل الدعائم : 98/1 ، 136 .

(24) أبو يعقوب السجستاني ، إسحق بن أحمد : تحفة المستجيبين ، ضمن كتاب «**خمس رسائل إسماعيلية**» ، تحقيق : عارف تامر ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ط2 ، 1978 ، ص17-20 **والافتخار** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : دار الأندلس ، 1980 ، ص61-64 ، 65-69 ، 64-70**وسلّم النجاة** ، ص 43-44 ، راجع : Alibhai, Mohamed Abualy, **Abu Ya'qub al-Sijistani and Kitab Sullam al-Najat**, Ph.D. dissertation, Harvard University, 1983

(25) الكرماني ، أحمد حميد الدين : **راحة العقل** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : دار الأندلس ، ط2 ، 1983 ، ص253-256 .

(26) قارن : السجستاني : تحفة المستجيبين ، ص17-18 . الحامدي ، إبراهيم بن الحسين : **كنز الولد** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : دار الأندلس ، 1979 ، ص93 ، 98 . أبو يعقوب السجستاني ، إسحق بن أحمد : **الينابيع** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، 1965 ، مقدمة المحقق ، 17 . مصطفى غالب : **الحركات الباطنية في الإسلام** ، بيروت : دار الأندلس ، ط2 ، 1982 ، ص116-117 .

(27) كنز الولد ، ص203 .

(28) ليس لدينا ما هو أكيد عن هوية الشاعر الإسماعيلي أبي تمام . وهو غير الشاعر الشهير حبيب ابن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج الطائي ، المكنّى أيضاً بأبي تمام . انظر : الصولي ، محمد بن يحيى : **أخبار أبي تمام** ، تحقيق : محمد عبده عزام وخليل محمود عساكر ونظير الإسلام الهندي ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، 1980 ، ص59 . أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين : **الأغاني** ، تحقيق : سلفستر دو ساسي ، طبعة بولاق ، 303/16 . الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي : **تاريخ بغداد** ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (بدون تاريخ) ، 248/8 . ابن خلكان ، أحمد بن محمد : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، 1968 ، 11/12 . وقد ضلّل حسين الهمداني قارئ كتابه ، حين زعم بأن الشاعر الإسماعيلي أبا تمام كان معاصراً للداعي اليمني علي بن محمد بن الوليد المتوفى عام 612هـ / 1215م . الهمداني ، حسين بن فيض الله : **الصليحيون والحركة الفاطمية في مصر** ، صنعاء : منشورات المدينة ، ط3 ، 1986 ، ص289 ، هامش 6 . كما أخطأ أيضاً الداعي اليمني إبراهيم

الحامدي عندما أطلق عليه أبو التمام . الحامدي ، كنز الولد ، ص203 . وقد ذكر أو محمد الداعي أبا تمام في كتابه ورجع إلى بعض مقالاته ، بعد أن عرّفه بأنّه داع إسماعيلي ، وهو غير الشاعر المعروف بأبي تمام . أبو محمد اليمني (مجهول) : **مختصر في عقائد الثلاث والسبعين فرقة** ، مخطوط رقم 1373 ، مكتبة عاطف أفندي ، اسطنبول ، الورقة 603 . لمزيد من التفاصيل عن الداعي أبي تمام ، انظر : Poonawala, **Biobibliography**, p. 132 .

(29) لم يعثر على كتاب «**البشارات**» للسجستاني ، ويسمى أيضاً «**البشارة**» ، وقد ذكره السجستاني في كتابه «**الافتخار**» بوصفه مرجعاً . انظر : **الافتخار** ، ص61-4 ، 65-9 ، 70-4 . سلم النجاة ، ص33-4 .

(30) قارن السجستاني : تحفة المستجيبين ، ص 17-20 . الافتخار ، ص 61-4 ، 65-9 ، 70-4 . سلم النجاة ، ص 33-4 .

(31) وهو ما يوازي رتبة «المؤمن» التي ذكرها السجستاني في «تحفة المستجيبين» . انظر : ص19 .

(32) كنز الولد ، ص259 .

(33) المصدر السابق : ص267 . وهذا في الحقيقة عقيدة الإسماعيلية المستعلية ، وهي مذهب الحامدي . أما النزارية (أتباع آغا خان) فيؤمنون بأنه بعد دور الستر الأول لم يأتِ دور سترٍ آخر ، حيث إن الإمام النزاري إمام حاضر غير مستور .

(34) انظر : **الصليحيون** ، ص219 . **أعلام الإسماعيلية** ، ص379-380 . Wladimir Ivanow, **A Guide to Ismaili Litrerature,** London, 1933, p. 59-60. Brockelmann, GAL, 1/716. Daftary, **The Ismailis**, p. 289. Poonawala, **Biobibliography**, 162.

(35) قارن : علي بن الوليد : **الذخيرة في الحقيقة** ، تحقيق : محمد حسن الأعظمي ، بيروت : دار الثقافة ، 1971 ، ص76-81 . الوداعي ، علي بن حنظلة المحفوظي : **سمط الحقائق** ، تحقيق : عباس عزاوي ، دمشق ، 1982 ، ص41 ، 45-46 . **وضياء الحلوم ومصباح العلوم** ، ضمن كتاب «**أربع كتب حقانية**» ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1987 ، ص88 ، 92-3 ، 95 ، 98-99 .

(36) علي بن الوليد : **دامغ الباطل وحتف المناضل** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، 1982 ، 114/1 .

(37) تُقرأ كذلك : (بعض) أو ربما تكون (عبث) .

(38) دامغ الباطل ، 114/1-115 .

(39) المصدر السابق : انظر على سبيل المثال لا الحصر : ص86-9 ، 103 ، 105 ، 107-10 .

(40) القرآن الكريم : البقرة – 177 .

(41) القرآن الكريم : التوبة – 111 .

(42) القرآن الكريم : يونس – 62 .

(43) القرآن الكريم : البقرة ـ 14 .

(44) انظر : محمد بن مالك الحمادي : **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة** ، تحقيق : محمد الأكوع ، صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، 1994 ، ص65-66 . **إتعاظ** ، 1/156-157 . البستي ، أبو القاسم إسماعيل بن أحمد : **من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم** ، ميلانو ، مكتبة الأمبروزيانا ، مخطوط رقم 41– جريفيني ، صحيفة 10أ . الفهرست ، ص266 . قارن : ميكال يان دي خويه : **القرامطة** ، ترجمة : حسني زينة ، القاهرة : دار ابن خلدون ، 1960 ، ص34-35 . أيضاً : Daftary, The Ismailis, p. 226 .

(45) الكشف ، ص23 .

(46) قارن : ابن منصور اليمن : **العالم والغلام** ، ضمن «**أربع كتب حقانية**» ، تحقيق : مصطفى غالب ، ص23 .

(47) القرآن الكريم : الأحزاب – 72 .

(48) القرآن الكريم : الروم – 30 .

(49) الإمام النزاري – الإسماعيلي السادس والعشرون علاء الدين محمد الثالث بن الحسن الثاني بن محمد الثاني بن الحسن بن القاهر بن المهتدي بن الهادي بن نزار بن المستنصر بالله الفاطمي . مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ص 294-297 وتاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ص273 . Hodgson, **The Order of the Assassins**, p. 42 & The **Cambridg History of Iran, The Ismaili State,** 5/476-480.

(50) لم نتعرف على هذه الرسالة .

(51) الطيبي ، شمس الدين بن أحمد بن يعقوب : **الدستور ودعوة المؤمنين للحضور** ، ضمن «**أربع رسائل إسماعيلية**» ، تحقيق : عارف تامر ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ط2 ، 1978 ، ص73 .

(52) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ، 53 .

(53) القرآن الكريم : المزمل – 6 .

(54) يبدو أن الفراغ يُملأ باسم المستجيب .

(55) من الأفضل قراءتها «لا يخيب» أو «لا يحيب» .

(56) لعلّه صفي الدين أحمد الذي ذكره عارف تامر في كتابه كداعي الدعاة في تلك المنطقة . قارن : الطيبي : «**الدستور**» ، 55 .

(57) القرآن الكريم : النحل – 91 .

(58) الطيبي : «الدستور» ، 51-52 . قارن : ابن منصور اليمن : الكشف ، 24-32 . القاضي النعمان بن محمد بن حيون التميمي : **الهمّة في آداب اتباع الأئمة** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، 1979 ، ص39-44 . كنز الولد ، 166 . دامغ الباطل ، 1/110-114والذخيرة في الحقيقة ، 64-66 ، و**تاج العقائد ومعدن الفوائد** ، تحقيق : عارف تامر ، بيروت ، 1987 ، ص-95 92 . أبو فراس ، شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الميقني : **الإيضاح** ، تحقيق : عارف تامر ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، 1964 ، ص 110ومطلع الشموس في معرفة النفوس ، ضمن «**أربع رسائل إسماعيلية**» ، تحقيق : عارف تامر ، 34-35 .

(59) يذكر الشاعر نزاري قوهستاني ، وهو داعية وواحد من شعرائهم ، مجالس شرب الخمر ، التي يبدو أن إسماعيلية إيران يحلونها ، حيث يقول بأنه «قضى هو وإيرانشاه ساعات عديدة سعيدة معاً ، يستمعان إلى موسيقى الناي والقيثارة ويحتسيان الخمر (نوش)» . FC., Nadia Eboo Jamal, **Surviving the Mongols**, London, I.B. Tauris Publisher, 2002, p. 122.

(60) الخشخاش (Poppy) : نبات مخدر يُصنع منه الأفيون ، وقد كانت إسماعيلية إيران «النزارية» تعرف استعمال الخشخاش ، حيث ذكره الشاعر نزاري قوهستاني في شعره ، في قصيدة له ترجمتها :

كيف يمكن لطبيب العقل
إعطاء الخشخاش لفاقد الشعور؟

انظر في ذلك : Ibid, p. 78 .

(61) «الدستور» ، 54-7 .

(62) يوضح أيضاً النص التالي **بالخط العريض** أذان الصلاة عند الشيعة ، أما السنة فلا يذكرون في أذانهم ما هو مذكور **بالخط العريض المائل** .

(63) مزيد من التفاصيل عن أدعية الصلاة ، التي يقوم بها المستجيب والدعاة في مجلس العهد ، تجدها عند الطيبي : الدستور ، ص58-72 .

(64) إحسان الله ظهير : **الإسماعيلية تاريخ وعقائد** ، لاهور : إدارة ترجمان السنة ، 1986 ، ص639 . قارن : زاهد علي : هاري إسماعيلي مذهب ، حيدر أباد ، 1954 ، ص326-327 .

(65) انظر ما سبق في العهد الإسماعيلي عند أبي محمد ، ص355 .

(66) انظر : الكشف ، ص30 ، 39-40 ، 46-50 ، 67-71 ، 79 ، 115-116**وسرائر وأسرار النطقاء** ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت : دار الأندلس ، 1984 ، ص45-46 .

(67) انظر : «**رسائل القمّي**» ، ألحقها حسين همداني مرفقاً (رقم 6) في كتابه : **الصليحيون** ، ص311 .

(68) شاهين مكاريوس : **تاريخ الماسونية القديمة وآثارها** ، ص84 ، 127 . Mackey, **The History of Freemasonry**,m New York, Gramercy Books, 1996, p. 174.

(69) أبقراط فيلسوف وطبيب يوناني قديم (ت . حوالي 460أو 377ق .م . تقريباً) . يعتبر أبا الطب عندما حرر الطب من الخرافات . وقد فرض قسماً على تلاميذه ، يؤدونه قبل ممارسة المهنة . تُرجم القسم إلى كل لغات العالم ، وهو يحتوي مثلاً التعهد بعلاج أي إنسان وتطبيبه ، ومهما كان ، حتى وإن كان عدواً أو مجرماً .

❊ ❊ ❊